Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518
Volume 5 (9), July 2018

Article History		
Received/Geliş	*Accepted/ Kabul*	*Available Online / Yayınlanma*
20 /5/2018	10 /6/2018	1 /7/2018

دلالة المكان في الرسائل الشعرية للمغتربين قسرياً في الأندلس

أ.م.د. واقدة يوسف كريم / العراق

الملخص

إن لكل جنس أدبي هويته ووجهته ورؤيته، والرسائل الشعرية من الأجناس الأدبية، ولاسيما الأندلسية التي يشهد التاريخ بعراقتها وجودة ما كتب فيها، لما توظفه وما تعتمد عليه من طاقات إبداعية وما تنتج عنها من دلالات ومدلولات، وقد تكون الرسائل الشعرية الأندلسية قوى هذه الأنواع من حيث العمق الأدبي، لما يتعانق فيها من الخوارق والوقائع والتاريخ والعواطف الإنسانية، وما توغل فيها من حكمة، وما تحمله من قيم الأمة العربية الإسلامية، أثارت بقوة إتقان أدبائها المجيدين جدلاً واضحاً بين الدارسين، إذ يُعدُّ أدباؤها من أشهر الأدباء المرموقين الذين أجادوا ضروب البيان والتمسك بهذا النهج الراقي في سياق رسائلهم، التي أنتجها أدباؤها إذ كانت رحلتهم المأساوية التي حاولوا من خلالها الدفاع عن وطنهم وأهلهم وأنفسهم، ورد الظلم الذي نفاهم وأبعدهم عن الأهل والوطن، وجاءت الورقة البحثية تحت عنوان (دلالة المكان في الرسائل الشعرية للمغتربين قسرياً في الأندلس)، فقد عالجت فيه المكان الواقعي الذي كان يعيش فيه الأدباء، والمكان الحلمي، وبيان ما كان يحلم به الأدباء في الدفاع عن المكان/ وطنهم الذي ولدوا فيه أو المكانة الاجتماعية التي كانوا عليها، بعدما فقدوا الأمل في الرجوع إلى ديارهم وأهلهم وما قاسوا من ا لم الغربة والنفي والسجن.

الكلمات المفتاحية : (مكان، رسائل شعرية، الاندلس، المغتربين قسريا).

Abstract

Every genre has its own identity, destination, view, and validity. Letters, especially thy Andalusian ones, are genres that history emphasizes their ancientness and goodness related to what they imply and depend on of the creative abilities in addition to their semantic results. The Andalusian poets are, perhaps, the best ones among other letters in their literary depth because of the connectedness of supernatural, real, historical, and human passions features, as well as their wisdom and the Islamic Arabic nation principles. They made an obvious argument among the researchers by the greatness of their writers whom are regarded the best of those dealt with literature and the best writers of a good context in their letters. The of those letters may be a reactive –interchangeable one that needs to study its structure, performance, dimensions, semantic features, and various forms, thus, the text shows the creativity of being similar to or different from its age, on which the present study depends in the analytical study of the texts dealing with the atmosphere of those letters during their tragic trip through which the defend their country, their people and themselves, and to come against any oppression that made them away from their home.

دلالة المكان في الرسائل الشعرية للمغتربين قسرياً في الأندلس

أ.م.د. واقدة يوسف كريم / العراق

The present study is entitled **(The Semantics of the place in letters of obligatory expatriate poets in Andalusia)**

The first deals with the read place in which the poets live.

The second deals with the dreamy place, and to show whether those writers dream to defend their place or home in finst is the one that is needed to return to, either the place in which they bornor status, the place which is dreamed to get after they lost any hope to be back to their home lands and how they suffered from the alienation and being in prison.

المكان الواقعي

يمثل المكان في النص الأدبي احد الأركان الأساسية لمضمونه ويهتم الأدباء بالحديث عن المكان باعتباره مصدر كتابة الأدب، ويظهر تنوع المكان بوجه خاص في دواوين الشعراء، كما أن بعض الأجناس الأدبية استخدمت المكان لتمكين التخاطب بين الأديب/ الشاعر والمتلقي من مكانين متباعدين، سوا كان تباعد حقيقي أم خيالي. أن اعد المكان حالة مادية ماثلة أمام الإنسان، أي المكان المشاهد في الواقع.

والواقعية تعد التمثل الموضوعي للواقع الاجتماعي[1]، لأنها "ترسم صورة للإنسان في شموله وللمجتمع في عمومه دون أن تنحصر في المظاهر الجزئية، إذ أن انحصار زاوية الرؤية بمعايير ناقصة لا يؤدي إلا إلى الافتقار والتشويه"[2]، وبما إن علاقة أي نص (شعري/ نثري) بالواقع هي علاقة فعلية، ولا وجود لنص أدبي يمكن فصله عن واقعه[3]، حتى ولو ان الأديب/الشاعر يتجاوز قشرة الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع، غير انه يظل مع ذلك واقعاً محتملاً إذ ان جزئياته تكون حقيقية[4]، ان علاقة الشاعر بالواقع هي علاقة جدلية تربط بين عالمين عالم الأديب الداخلي والعالم الخارجي المحيط به، وتأتي جدلية هذه العلاقة من عدم قدرة الإنسان على تحقيق وجوده وكينونته الا في مكان وبيئة، وفي المقابل فان المكان والبيئة لا تتحقق أبعادهما وملامحهما الا بوجود الإنسان فيهما، فالإنسان والبيئة هما مصدر الحياة في شتى مظاهرها[5]، وقيل: "قل لي أين تحيا، اقل لك من أنت"[6].

ويعد المكان الواقعي من الأمكنة المهمة، لأنه ينقل الواقع بطريقة فنية، وهو المكان الذي نراه أمامنا في كل الأزمان، فالواقعية الأدبية هي "انتماء العمل الأدبي للواقع الاجتماعي أو نسبته إليه"[7]، والعلاقة بين الأدب والواقع أخذاً وعطاء في كلا الجانبين، لا يجري على وتيرة واحدة لا في الفواصل الزمنية ولا في الزخم والاندفاع[8]، والأدب الواقعي يهدف إلى تصوير الواقع تصويراً صادقاً[9].

وقد شغلت العلاقة بين الأدب والواقع مختلف الاتجاهات والتيارات النقدية منذ عصور ما قبل الميلاد، فقامت نظرية المحاكاة عند الفيلسوف الإغريقي أفلاطون التي نظر من خلالها لتلك العلاقة على أساس المثل، لان الحقيقة عند هذا الفيلسوف كامنة في عالم المثل أو الصور الخالصة ذات الوجود المستقل عن المحسوسات، لان كل ما في عالم الحس ليس بالنسبة أليه سوى محاكاة لتلك الصور، أي العالم

---

(1) ينظر: مفاهيم نقدية :197

(2) منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، صلاح فضل:169

(3) ينظر: بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كحلوش:235

(4) ينظر: إضاءة النص، اعتدال عثمان:6

(5) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي، عزالدين إسماعيل:262

(6) شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لادوارد الخراط أنموذجا، خالد حسين خالد:63

(7) الرواية العربية بين الواقع والتخيل، رفيف رضا صيداوي :19

(8) ينظر: المقدمات التمهيدية في الفن والأدب، د.ميشال عاصي

(9) ينظر: معنى الواقعية المعاصرة، جورج لوكاتش:24

دلالة المكان في الرسائل الشعرية للمغتربين قسرياً في الأندلس

أ.م.د. واقدة يوسف كريم / العراق

الحق والخير والجمال، فالجمال فكرة والوجود الحقيقي يتمثل في الفكرة، والأشياء ما هي إلا انعكاس للفكرة أو ظلها[1]، يرى بلزاك وتولستوي "ان كل فعل وكل فكرة، وكل عاطفة من عواطف الإنسان، ترتبط ارتباطاً لا ينفصم بالحياة وبصراعات المجتمع، أي ترتبط بالسياسة سواء اكان البشر انفسهم واعين بذلك، ام غير واعين به ام يحاولون الهروب منه، فان افعالهم وافكارهم وعواطفهم تنبع على الرغم من ذلك موضوعياً من السياسة وتنصب فيها "[2] فالمكان الواقعي قد يكون حسي مشاهد، وقد يكون نفسياً معنوياً، وهذا ما سنراه في النصوص الشعرية.

فنجد ابا حفص الهوزني يراسل المعتضد من مرسية، يقول فيها[3] :

فكم مثلها جأواءَ نَهنهتَ فانثنت ... وناظُرها من شدَّةِ النقعِ أرمَـــدُ
فمرَّت تنادي الويل للقادح الصفا ... لبعضُ القلوبِ الصخرُ أو هي أجلد
وألفت ثناء كاللطائم نَشـــرُهُ ... تَبيدُ الليالي وهو غضٌ يجـــدّد

فهو يصور واقع المكان وماذا حل به من اذى وألم اذ من كثر ما أصاب هذا المكان وان ناظرها يصاب بالرمد من كثرة البكاء والعويل والنداء بالويل، وقلوب حاكميها كانها صخر واقوى منه لا يهز لها نداء، وقد انتشر الظلم في المكان انتشار العطر وان هذا الحال في هذا المكان يتجدد كل يوم.

وعندما دهم العدو على الأندلس يورد لسان الدين بن الخطيب قائلاً[4] :

مـاذا يكـون جوابكـم لنبيكـــــــم ... وطريق هـــذا العـــذر غير ممهَّـــد
إن قال لـم فرطتم فـي أمتـــي ... وتركتمـــوهـــم للعـــدو المعتـــد
تالله لـــو أنَّ العقوبة لـم تخـــف ... لكفـا الحيا مـــن وجـه ذاك السيـــد

مستفهما عن المصاب الذي حل بالمكان الارض الوطن/الأندلس، ويعد الوطن امانه في الاعناق كون الله جعل الانسان خليفه في الارض ليحافظ عليها وعلى امه رسول الله(ﷺ) الذي يشفع لامته يوم القيامة، كيف يكون جوابكم لشفيعكم وانتم فرطتم بالارض واهلها.

وهذا ابو المطرف بن عميرة يبعث الى الشيخ ابي جعفر بن أمية حين حل الرزء ببلنسية يقول[5] :

أمن بعد رزء في بلنسية ثـــوى ... بأحنائـــنا كالنـار مضمرة الوقـــــدِ
يرجى أناسٌ جنةً مـن مصائـــب ... تطاعـــنُ فيهـــم بالمثقفـــةِ الملـــــدِ
ألا ليتَ شعري هـل لها من مطالع ... معـــادٌ الى ما كان فيـــها من السعـــدِ
وهـل أذنب الابناء ذنب أبيهـــــمُ ... فصار الـــى الاخراج من جنـة الخلـدِ

(1) الرواية العربية بين الواقع والتخيل:19

(2) ينظر: دراسات في الواقعية الأوربية، جورج لوكاتش:31

(3) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتيري: م2/49.

(4) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب : 2/62.

(5) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، المقري التلمساني: 1/305.وله رسالة للشيخ الحافظ أبا عبدالله ابن الابار يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية، نفح الطيب :4/ 491.

دلالة المكان في الرسائل الشعرية للمغتربين قسرياً في الأندلس

أ.م.د. واقدة يوسف كريم / العراق

نقل لنا الشاعر، ما حل بالمكان بصورته الواقعية وكأنها النار المشتعلة في الأحشاء لا تنطفي من شدة المصيبة التي حلت على المكان ويتمنى الناس زوال المصيبة عن المكان ويحل السعد مثلما كان من قبل ومستفهما هل أذنب الأبناء ذنب أبيهم ليخرجوا من جنة الخلد مكانهم ووطنهم الام، فضلا عن ذكر المكان صراحة (بلنسية) وذلك لان الأمة الأندلسية عاشت سلسلة من المآسي والنكبات، وبدأت في القرن الخامس الهجري ، وحلت المأساة على الأندلس وهذه النكبات تبتدى في تراث الأدب الأندلسي منذ أخذت بعض مدن الأندلس تسقط في يد الصليبيين، مثل مدينة (بربشتر، وطليطلة، ثم سرقسطة، وبلنسية)[1] اذ عبر الأدباء الأندلسيون "عن واقع هذه الظروف في نفوسهم ذماً لها أو وصفاً لأثارها أو سخطاً عليها وتبييناً لفسادها"[2]، ، ثم تمتد لتشمل اغلب المناطق والحصون والمدن إلى ان اشتدت الحملات الصليبية على الأندلسيين وحلول المأساة الأخيرة عندما انهارت معالم آخر مدينة أندلسية وهي (غرناطة)[3]، ولقد تتبع الأدباء الأندلسيون هذه المحن والنكبات كلها، مسجلاً مراحلها، مخلداً شعور الأندلسيين فيها، معبراً بالدمع والدم عن تلك الاحساسات العميقة الصادقة التي يشعر بها الإنسان الأندلسي، تجاه الأرض، ومعالم الدين، والحضارة والفلك، لقد مست النكبة كل شيء، مست الأرض التي درج عليها قوم كانوا قد حرروها من الظلم والاستبعاد، والوحشية والتأخر والقهر، الأرض التي أحبها الأندلسيون حتى الأعماق، وامتزجت ظلالها وأنهارها وأشجارها، وكل شيء فيها بروحهم ودمهم عبر ذلك التاريخ الطويل، فيها هي الآن تسقط تحت سنابك خيل الصليبيين في غير رحمة، وتتقلص ظلالها، يوماً بعد يوم، إلى ان تصبح قطعة صغيرة تضم بقايا حضارة، تستعد للسقوط النهائي، كما مست الدين في معالمه الكثيرة، في مساجده ومآذنه ومحاريبه، وفي كل قيمه ومثله[4].

وهذا ابن زيدون يصور لنا ذكريات بلنسية قائلاً[5]:

افضيـضُ مســك أم بلنـــــــ	سيـــةُ لـــرياهـــا نميـــــــم
بلـــــد حبيـــــبُ أفقـــــــهُ	لفتـــــى يحـــــل بـه كريـــــم
.....	.....
ذكـرى لعهـــدك كالعـــــــدا	د، ســـرى فبـــرحَ بالســـليـــــم

(1) بربشتر: مدينة عظيمة في شرق الأندلس من أعمال بريطانية، وقد صارت للروم في صدر سنة 452هـ، ثم استعادها المسلمون في أمارة احمد بن سليمان بن هود سنة57هـ، لها حصون كثيرة منها حصن القصر وحصن الباكة وحصن قصر مينوفش وغير ذلك. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: 370/1

طليطلة: من أعمال الأندلس وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم، وهي على شاطئ نهر تاجه، بينها وبين قرطبة سبعة ايام للفارس. ينظر: معجم البلدان: 4/39-40.

سرقسطة: بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، مبنية على نهر كبير، وهو نهر منبعث من جبال القلاع، وقد انفردت بصنعة السمور ولطف تدبيرة تقوم في طرزها ومنفردة بالنسج في منوالها، وهي الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية. ينظر:معجم البلدان:212/3

بلنسية: كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات اشجار وانهار، بينها وبين تدمير أربعة أيام ومنها إلى طرطوشة ايضا أربعة أيام، وكان الروم قد ملكوها سنة 487، واستردها الملثمون الذين كانوا ملوكا بالغرب قبل عبد المؤمن سنة 95هـ. ينظر: معجم البلدان:490/1.

(2) فصول في الأدب الأندلسي، د.حكمت الأوسي :38

(3)غرناطة: وهي اقدم مدن كورة البيرة من اعمال الأندلس واعظمها واحسنها واحصنها، يشقها النهر المعروف بنهر قلزم أو بنهر حدارة، بينها وبين البيرة أربعة فراسخ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخاً. ينظر: معجم البلدان: 4/195.

(4) ينظر: الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي:132

(5) ديوانه: 268.

يصور حنينه للمكان / بلنسية وذكرياته العذبة التي تأتيه بين حين وحين ويثير اثار هواجسه ملحة في عقله تكاد تدفعه من شدة الوجد الى الجنون.

وله في ذكر دوير[1] قائلاً[2]:

ولما قضينا من "دويرٍ" إجـــازةً تحدر دمع المقلـــة المترقـــــرقُ

لقد أقصى المعتضد بابن زيدون الى مكان مقفر فرسم صورة الألم لمغادرته للمكان والدموع الرقراقة تذرف حزنا وألم على المكان.

والانا مسؤوله عن شعور المرء بهويته واستمراريته وقدراته وممتلكاته المادية واسرته واصدقاؤه واعدائه ومهنته وهوايته وغير ذلك[3] ، وبما ان الانسان وليد البيئة وان اي تغير في طبيعة الكان يقود بالتالي الى تغير في أحاسيس الانسان ومشاعره فليس المكان في هذه الحالة "مساحة فحسب، انه حالة نفسية"[4].

فهذا ابو عبدالله الصغير يرسم صوره مكان الانا ، واين اصبحت بعدما حلت المصيبة على المكان يقول[5]:

كنـا ملوكاً لنا فـــي أرضنـا دولٌ نمنا بهـا تحت أفنانٍ مـــن النعـــمِ
فأيقظتنا سهـــامٌ للردى صيـــبٌ يرمى بأفجع حتفٍ مـــن بهن رمـــي
فـــلا تنم تحت ظل الملك نومتـــنا وأي ملك بظـــل لـــم ينـــــمِ
يبكي عليه الذي قد كـــان يعرفـــهُ بأدمـــعٍ مزجَت أمـــواهُـــها بـــــدَمِ
والمرء ما لم يعنه الله أضيعُ مـــن طفلٍ تشكى بفقد الام فـــي اليتـــــمِ

بعد ان كانت الأنا ملك وصاحب سلطه وكل الأمور تحت يديه ويملك كل النعم والرفاهية فحلت الفجيعة وحل الألم والبكاء الممزوج بالدم، وان الذي يفقد المكان/الوطن كالطفل الذي يفقد امه.

وابو المطرف بن عميرة يذكر مكان الانا بعد انفصالها عن المكان قائلاً[6]:

أسيـر بأرجاء الرجـــاء ، وانـــما حديث طريقـــي طـــارق الحدثـــان
وأحضر نفسي ان تقدمت خيفـــةً لغـض عنـــانٍ أو لعـض زمـــــانِ
أيترك حظي للحضيض وقـد سرى لإمكـــــانه فـــوق الـذرا جبـــلانِ
وأخبطُ في ليل الحوادث بعدمـــــا أضـــاء لعينـــي منهـــما القمـــرانِ

(1) دوير: نهير صغير في الشمال الغربي لشبه جزيرة أيبيريا.
(2) ديوانه: 385.
(3) ينظر: نظريات الشخصية، دون شلتز: 599.
(4) يوميات الحزن العادي في مدن الملح: 17.
(5) نفح الطيب: 4/ 529.
(6) م.ن: 1/ 317.

والمكان يقف دلالة على قيم خاصة، كما يفصح عن عقلية الهيئة الاجتماعية وطرق تفكيرها، وتؤثر البيئة في أنماط التفكير وتوجه ويؤثر في الإنسان تماماً كما يعمل الإنسان على تغيير طبيعة هذا المكان، والحق إن التغيير الاجتماعي لا يقتصر على عوامل ايكولوجية حسب، وانما لابد من عوامل أخرى كالهجرة والتقدم العلمي والتكنولوجي، والحق ان المكان بذاته معزولاً عن الإنسان يفتقر إلى الدلالة "وكل مكان مدان ما لم تجر عليه خبرة الإنسان"[1].

وأرسل أبو المطرف بن عميرة رسالة الى القاضي ابي عبدالله ابن يعقوب الشاطبي يشكو فراق الأندلس ويحن الى أهلها جاء فيها[2]:

وركبنا متـن الخصـم باحـــشا ... ء حكتــه فـــي زخــرة واصطفـــاق
هال بحـر الزقـاق حتـى ركبـــنا ... بسواه فهـــــان بحـــر الزقـــــاق
وحللنا سـلا فسـل عـــن فـؤداي ... هـــــل سلا مـــن نأى بمن هـــو لاق

يدل الشاعر على ارتباطه المكاني/الوطن وركب البحر وتحمل مخاطره ويعدها اهون عليه من مخاطر العدو التي كانت اعظم من البحر.

وابن زيدون يصور حال ومكان الانا في السجن قائلاً[3]:

لـم تَطـوِ بردَ شبابـــي كـــبرةٌ وأرى ... برق المشيبِ اعتلى في عارضِ الشعَر
قبل الثلاثينَ، اذ عـــهدُ الصبا كثـــبٌ ... برقَ المشيبِ اعتلى في عارضِ الشعرِ
ها إنها لوعةٌ فـــي الصدرِ قادحـــــةٌ ... نار الاسى ومشيبي طـــائرُ الشـــرَرِ
....
إن طال في السجنِ ايداعي فلا عجب ... قد يودعُ الجفن حـــدُّ الصارم الذكـــرِ

رغم صغر السن الا علا الشيب جراء الا لم الذي في الصدر فطار الشرر الى رأسي فاشتعل بالمشيب، ورغم كل الصعاب التي يواجهها الا ان مكان الانا كالحسام الصقيل يقر في غمده حينا ثم يلب ثان يسل عند الشدائد والاهوال.

ويرى "ان صورة الإنسان الروحية مرتبطة بالبيئة التي أنشأته، وان تعليلات سلوكه تمليها أسباب اجتماعية، أي مادية"[4].

وكما معروف عن الادب الاندلسي وامتزاج الطبيعة معه ولذا نرى الشعراء يصورون تفاعل الطبيعة التي تعد اساساً للمكان ، فهذا ابن زيدون يصور تفاعل الطبيعة مع مكان الانا وهو في الاعتقال اذ يقول[5]:

ألم يأن أن يبكي الغمام عـــلى مثلي؟ ... ويطلبَ ثأري البرقُ منصلتَ النصـــلِ؟
وهلا أقامت أنجـم اللـيـــــل مأتمـــاً ... لتندب في الافاقِ ما ضاعَ مـــن تتلي
ولـو أصفتني وهـــي أشكالُ همتـــــي ... لألقت بأيـــــدي الذل لما رأت ذلـــي

(1) إشكالية المكان في النص الأدبي :21
(2) ابو المطرف حياته وآثاره: 120.
(3) ديوانه: 340
(4) المصائر التاريخية للواقعية، بوريس سوتشكوف:99
(5) ديوانه : 346.

ولافترقـــت سبـــعُ الثريا وغاضـــــها بمطلعها ما فرق الدهـرُ مـــن شملـي

لقد شخص الطبيعة ورسم البكاء للغمام للتناسب والبرق ينسل سيفه مطالباً بالثائر للانا والنجوم تقوم مأتماً تندب ذكري ومكاني الحسن وجعل مكان الأنا كمان النجوم في العلا ولهوت ذليلة حينما أبصرت ذلي وهواني ولتفرقت ونقصت نجوم الثريا بعد ائتلافها وتمامها حزناً على ما فرقه الدهر من شملي.

ومن طبع الانسان اللجوء الى الاخر في احزانه ومسراته وقد تسعى الانا غير المستقرة دائما الى الاندماج مع الاخر لتتمكن من مشاركته فيما يملكه من سلطات مكانية وغير مكانية[1]، اذ "ان العلاقة بين الأنا والآخر هي الخيط الناسج للنص الأبداعي، واذا كانت جدليتهما كثيراً ما تبدو مصطنعة في الخطاب الفكري، فأن الأبداع يتيح لها من مقومات البناء والصياغة ما يوسع امكانات تصورها والتعبير عنها، وبالمناسبة فان المفكرين يضيعون فرص الثراء عندما يلتفون حول قضاياهم دون ان يشعروا بغياب المبدع وبالحاجة إلى خياله وإلى حسه وحدسه، أي إلى قدرته على تجاوز الوعي التجريبي في اتجاه الوعي الممكن"[2].

ونرى اغلب رسائل الشعراء الاندلسيين هي طلب النجدة، فالادباء/الشعراء يبحثون عن منقذ فنظروا الى مكان ممدوحيهم " نظرة الغريق الى المنقذ، والفقير الى الغني، والمحتاج الى المتفضل"[3] ، فهذا لسان الدين بن الخطيب يستصرخ الأخر/ سلطانه ابي الوليد بن نصر على العدو قائلا[4]:

هـــذي الجزيـــرة لا تزال عزيـــزة محفوظـــــة بـــك امام ولاتـــــها
فليـهن أندلســـا قدومـك انـــــــه حـــرز لها مـــتن عاديات عناتها

وقد يلجأ الشاعر بلفظة الخليفة لرفع واعلا من مكان الأخر فأبو المطرف بن عميرة له يقول[5]:

اليوم أورق للخلافـــة عودهـــــا ووفـــى لها ولاهلـــــها موعودهـــا
فـــي ذروة العليا يقوم خطيبـــــها ولحضـــرة الدنيا تسيـــر وفودهـــا
وبعرصة الشرف استقـــر قرارهـــا وعلـــــى بساط العز قام عمودهـــا

كما نجد لسان الدين بن الخطيب كان يقوم بدور المرشد المصلح للاخر/الحاكم اذ يقول مخاطبا الغني بالله[6] :

ودونكما من ناصح الجيب مخلـص وصية صـدق أعربت لك عـــن ود
أفض في الرعايا العدل تحظَ بحبـها وحكم عليها الحق فـي الحل والعقـد
ومـــا مـــن يد إلا يـد الله فوقـــها ومن شيم المولـــــى التلطف بالعبـد

(1) ينظر: المكان في شعر ابن دراج القسطلي: 92.
(2) صورة الآخر ناظراً ومنظوراً إليه: 38.
(3) المديح، سامي الدهان: 47.
(4) ديوانه: 54/1.
(5) ابو المطرف حياته واثاره: 226.
(6) ديوانة: 46. وله يخاطب اسماعيل 46

وهذا أبو عبدالله الصغير يقول للأخر[1]:

فأنت أنت ولــو لا أنت ما نهضـت بنا إليها خطـــا الوخـــادةِ الرسُـــمِ
رحماك يا راحماً ينمى إلـتى رحـــما فـي النفسِ والأهلِ والأتباعِ والحشـمِ
فكم مواقف صدقٍ فـي الجهاد لـنا والخيلُ عالكةُ الأشـداقِ للُّجُـــــمِ

يؤكد على مكان الأخر بتكرار الضمير (أنت) لإبراز وإعلاء هذا الأخر ولولاه ما نهضت الخطى المسرعة ومن السرعة والقوة ترسمت في مكان المعركة والى جانب الشجاعة والقوة التي لا توصف والشراسة في المعركة انه ينماز بالرحمة سواء بالنفس والأهل وكل ما يملك من أتباع وحشم.

وبهذا فيرى " ان صورة الانسان الروحية مرتبطة بالبيئة التي أنشأته، وان تعليلات سلوكه تمليها أسباب اجتماعية ، اي مادية"[2]، والمكان يؤدي دوراً فاعلاً في النص الأدبي/الشعري فضلاً عن كونه وسيلة فنية معبرة عن الكثير من المشاعر ويظل شاهداً حسياً على متغيرات تلك الحياة الإنسانية وما يحتدم من صراعات الواقع[3]. وبهذا فان الشعراء الاندلسيين يهتمون كثيراً بالمكان والبلاد التي يسكنوها وهذا دليل على حب الوطن وتعلقهم الشديد به فانعكس هذا الشعور على نفسيتهم ومن ثم على انتاجهم الشعري.

المكان الحلمي

وقد يكون المكان بوصفه مكاناً يدرك عن طريق الحواس المستمدة من منطلق خيالي، ويمكن عده غير مرئي وغير مدرك بالحواس أي غير موجود وجوداً فعليا الا في مخيلة الأديب/الشاعر، أو قد عاش به واقعياً وحرم منه، فيعاود العيش فيه من خلال مخيلته، وهذا ما سنجده في الرسائل الشعرية للمغتربين قسرياً.

يمكن القول إنَّ المكان الحلمي، هو المكان الذي يبني الشاعر اسواره من وحي مخيلته ويتراءى للمتلقي على وفق ما يرسمه وينسجه الشاعر فهو ابن المخيلة البحت التي تشكل أجزاءَه وفق منظور مفترض وقد يستمد خصائصه من الواقع وقد يكون غير محدد وغير واضح المعالم[4]، ويمكن القول"إذ لا مكان خارج فعل المخيلة"[5].

إن الحلم هو" نوع من التخيلات أو سلسلة من الصور الخيالية والحوادث المتخيلة التي تمر في خيال المرء عندما يترك العنان لعين عقله لكي ينتقل على غير هدى بين الصورة السارة فيشبع بذلك الرغبات التي بقيت دون إشباع في الحياة الحقيقية وعلى صعيد الواقع، يستسلم لها المرء أحياناً كوسيلة للهرب"[6].

وهذا يجعل من العمل الأدبي شكلاً حلمياً موجهاً إلى الخارج بعد ان كان في الداخل ويكون العمل الأدبي قريباً من العمل الحلمي، والهدف واحد هو إشباع الرغبة، فالحلم كأي عمل فني ينشأ نتيجة الفعاليات المقدمة في تنظيم رمزي، وكذلك الفن يحاول الربط بين ما يقدمه عن طريق التنسيق والتوازن والترتيب والتنظيم، وعلى ذلك فالعمل الأدبي شكل حلمي اساساً وهو حلم الفنان [7]، وفيه يتحول العمل الأدبي إلى

(1) نفح الطيب :4/ 531.
(2) المصائر التاريخية للواقعية، بوريس سوتشكوف: 99.
(3) ينظر: المكان في الشعر العربي قبل الإسلام، حيدر لازم مطلك، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب،1987 :19
(4) ينظر: الرواية والمكان:27
(5) بحوث في النص الأدبي، محمد الهادي الطرابلسي:22
(6) موسوعة علم النفس، د.اسعد رزوق:15
(7) ينظر: في النقد الأدبي، شوقي ضيف:82-83

إلى تعبير جمالي، " لان الأمور التي تضفي عليها تعابير جمالية ليست في الحقيقة سوى مميزات حلميه"[1]، ولعل الأمر المهم الذي دفع الشعراء إلى ذكر الحلم هو رؤية احبتهم وديارهم التي ابعدوا عنها، فكان الحلم هو الملاذ الوحيد كي يذكرهم بصورة ذهنية للمكان اذ هي صورة مظاهر محسوسة، تشير إلى أماكن أو مواقع لها خصائص عاطفية وكانها شيء حي، فهي مسالمة أو معادية، مألوفة أو غريبة، وأن يطبع الإنسان حين يواجه مشكلة ذهنية ضمن تعقيدات الحياة فانه يدخل العوامل العاطفية[2]، وبهذا فقد امتلك الشعراء المغتربين مواقف متباينة تجاه المكان، ولعل الشوق والحنين إلى الأوطان من اهم المواقف التي ظهرت عندهم اذ " إن ما يربط الإنسان بوطنه حب يفوق كل حب، هي رابطة مقدسة قوية لا تعدلها رابطة"[3].

وان" الحلم هزيمة بقدر ما هو انتصار، فهو سقوط على العالم اللا متحرك في الداخل، ولكن له أن يكون ايضاً امتداداً نحو اللانهائي والمستحيل، قد يقتات الحلم على أحشاء المرء حتى الانهاك، ولكنه يستطيع أن يقذف بالذهن بعيداً في الما وراء، ان يحلم المرء حياته – آن يمثل المستحيل، ففي المنعطف التالي قد ينتظره واقع مليء بالمستحيل الذي يجعل حتى اشد الأحلام هوجاً ينضح بمعنى ما، بعقل ما "[4]، وان " الحلم سجل اللاشعور وما الإنسان الا كائن موزع تاريخياً واجتماعياً داخل الحلم أي ماضٍ يسترجع، وحاضر يعاش"[5].

واما حلم اليقظة فهو" نشاط حلمي يبقى فيه بصيص من الوعي، ان صاحب حلم اليقظة حاضرٌ في حلمه وحتى عندما يبدو حلم اليقظة هروباً خارج الواقع، خارج الزمان والمكان، فان صاحبه يعلم انه هو الذي يغيب"[6]، وكذلك " إن الحلم وبشكل ما يبدو انه قادر على تحرير قدراتنا الخلاقة والحدسية والوجدانية، والنتيجة إننا نرى مدى أوسع من عالمنا هذا الذي نتحرك فيه ونحن يقظى، وعندئذ يمكن لنا ان نراه بطريقة مختلفة"[7].

ومن الاحلام التي تتوارد عند كل شخص هو ذكريات الطفولة، فهذا ابو المطرف بن عميرة يذكر ملاعب طفولته ومعاهد صباه قائلاً[8]:

ملاعب افراس الصبابــة والصبــا نروح اليهــا تـــــارة ونبكـــــر
وقلبي ذاك النهر كانت معاهـــــد بهـا العيش مطول الخميلة أخـضر

وقد يحدد مكان اللعب ايضا اذ يذكر أماكن لعبه بالجبل الادنى يقول[9]:

وبالجبل الادنى هناك خطا لــنا الـــى اللهو لا نكبو ولا نتعـــــثر
جناب باعلاه بـــهار ونرجـــس فابيـــض مفتر الثنايا وأصفـــــر

يصور الشاعر صورة مرسومة في مخيلته منذ طفولته المكان الذي يكون في اللعب والمرح ولجمال المكان من ماء وخضرة وازهار ملونه ما بين النرجس والبهار والورد الاصفر.

(1) التحليل النفسي والفن، د.آبي شنايد:74
(2) ينظر: الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، د.حسام الالوسي:40
(3) الغربة والحنين في شعر ماقبل الإسلام، صاحب خليل إبراهيم، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب،1988: 49
(4) الفن والحلم والفعل، جبرا إبراهيم جبرا:23
(5) إشكالية المكان في النص الأدبي:159
(6) إنشائية حلم اليقظة كوجيتو الحالم، جاستون باشلار، ترجمة د.ابو يعرب المرزوقي، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، عدد2، لسنة صيف 1982: 104
(7) الحلم في التصوير المعاصر، د.مصطفى عيسى:34
(8) أبو المطرف حياته وآثاره : 65
(9) م.ن: ص.ن

دلالة المكان في الرسائل الشعرية للمغتربين قسرياً في الأندلس

أ.م.د. واقدة يوسف كريم / العراق

ومكان الحلم يعد بعداً جديداً يحول الوجود في المكان إلى "حلم يقظة وتأملات شاردة"[1] يجب أن يكون قد انغرس – داخلياً- انغراساً فاعلاً فيه سواء كان الجسد الرمزي الواصل بين المكان المتخيل والواقع ذا دلالة موضوعية ام نفسية، فمن خلال الغائه العلاقات بين الأشياء، يستطيع أن يحقق طموحه الفني، والفلسفي والجمالي، والإنسان الحالم يستطيع ان يتصل بعالم الحقيقة ولو بطريقة رمزية غير مباشرة[2]، بما يغمر به القارئ المتذوق من عوالم مدهشة تستفز اعمق الأحاسيس وأخلدها في الذات الإنسانية المتكهنة لحقائق الوجود، فالأديب- غالباً- يبني مكانه المتخيل، حلمَ يقظة فلسفي يحيلنا إلى العوالم النفسية العميقة والخفية للإنسان، وموقفه من الوجود، ففي المكان المتخيل، يجري أحداث تغيير جذري في المكان الموضوعي لغاية رمزية، تجسد طموح المبدع لتغيير صورة العالم من حوله[3]، فبهذا يمكن القول إن المكان الحلمي مكان يمتزج فيه الخيال بالملاحظة الطبيعية، والتجربة الشخصية بالتكوين النفسي والاجتماعي[4].

وان ما مر به الشعراء من الم في الابتعاد والتغرب عن الوطن والاهل والاحباب فيحن الى العودة نحو ديار الاهل والاحبه ، ويحلم فينادي ويرسل السلام اليها فقره عينه في العودة فهذا ابن زيدون يقول[5]:

غَريبٌ بأقصى الشرقِ يشْكُرُ للصبا ... تَحملهَا منهُ السلامَ إلـــى الغربِ

وما ضرَّ انفاس الصَّبَا في احتمالِـها ... سَلامَ هوى يُهديهِ جسمٌ الــى قلبِ

جاء الشاعر بـ(غريب) داله الغربة المكانية فيذكر ريح الصبا لحملها السلام الى الاهل متسأل هل من ضرر لو حملت الرياح السلام للمكان/الوطن والاهل مؤكدا ان بعده عنهم واشتياقه لهم جعل المرض قريباً منه والدواء بعيداً بقوله[6] :

قد ملأ الشوق الحشا ندوباً

في الغربِ إذ رحتْ به غَريبا

عَليل دهرٍ سامني تعذيباً

ادنى الضَّنَى إذ أبعدَ الطَّيبا

ويعيش الذكريات وهو بالغربة وهذه الذكريات تدفع الامل والفرح في نفسه مصوراً انه استنشاق ريح الصبا تعود اليه ذكريات ايام الشباب، اي يجعل من الحلم دافع للامل فحتى الرياح التي يستنشقها تجيش في نفسه الشوق والحنين والامل في العودة الى مكانه ، وقد يلجأ الى سؤال واجابه نفسه لما يقف حائلا دون تحقيق رغبته وأمله فيقول[7] :

خليلي!! مالـــي كلما رمتُ سلـــوةً ... تعرّض شوقٌ دونَ ذلك حائـلُ؟

أراح إذا راحَ النسيـــمُ شاميـــــًا ... كأن شمولاً ما تُديرُ الشمائـــل

(1) شاعرية أحلام اليقظة، غاستون باشلار:29

(2) ينظر: العبقرية والجنون، يوسف ميخائيل:21

(3) ينظر: المكان ودلالاته في شعر السياب:73

(4) ينظر: الحكاية الجديدة، محمود خضير، جريدة الجمهورية، بغداد،1987/8/27

(5) ديوانه : 183.

(6) ديوانه : 184.

(7) ديوان ابن زيدون ورسائله : 456.

يقول يا صاحبي ما بالي كلما حاولت السلوان وقف الشوق حائلا بيني وبين النسيان، واجد هزة ارتياح وشوق اذا هب النسيم من جهة الاهل والاحبة .

وقد " يتكون الحلم من عنصرين أساسيين، فأما انه حلم بوصال كان– وهذا ما نسميه بالتواصل المدعي– واما أنه حلم بوصال سيكون– وهذا ما سنطلق عليه اسم التواصل المتمني"[1]. وقد يجعل الشاعر من الرياح التي تهب هي حلقه الوصل بينه وبين المكان المبتعد عنه ويتمنى الرجوع اليه أذ يقول ابن زيدون[2] :

سأهدي النفس فـــي نفس الشمـالِ فقد لقحَ التشوقُ عــن حِيــالِ
الـــى الوضاحِ آثــار المساعـــي الـــى النفاحِ أخبارَ المعالـــي
الى ملكٍ هـــتو المعنى المجـــلَّى به الإشكال مـــن لفظِ الكمـالِ

وبما إن البحث يتعلق بالشعراء المغتربين فأننا نجدهم وبسبب ظروفهم الخاصة، قد حاولوا الهروب من الواقع المر إلى عالم الخيال والحلم ليحققوا ذاتهم المعذبة، وبهذا الحلم يستطيعون تغيير ما يجدونه منافياً لحياتهم وسعادتهم، فالرسائل التي حوت على الحلم والخيال فيه القدرة على جعل الحقيقة تعي ذاتها لتنقذ نفسها بنفسها وتتبدل[3].

وللظروف السياسية دور خطير في حياة الشعراء الأندلسيين المغتربين وفنهم، وقد ادت تلك الظروف إلى ابتعادهم عن وطنهم وموطن صباهم ومكان طفولتهم وشكوا الغربة أي البعد والاغتراب أي النوى عن أهلهم ووطنهم، والغربة والاغتراب ظاهرة قديمة جديدة لم ترتبط بوقت محدد، أو حقبه زمنية معينة، الا انها تزداد في فترات يكثر فيها الاضطراب والقلق، وعدم الاستقرار في أوضاع المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويشكل الاغتراب اكبر مشكلة لدى الإنسان عبر العصور المختلفة، وفي الأندلس بالذات حيث انفصل الإنسان عن الإنسان في المكان، وتباعد في الزمان، فالمعاناة والشعور بالوحدة، والفناء المحتوم، تشكل سمة واضحة في شخصية المغتربين وسلوكهم، فالاغتراب نمط من التجربة يعيش الإنسان المغترب من خلال هذه الظاهرة المرضية كشيء غريب، والاغتراب يشكل تنافراً بين الطبيعة الجوهرية للشخص المغترب ووضعه وسلوكه الفعلي[4]، والشاعر يصور حال الاشياق الى المكان وهو في الغربة كانها نار في الاحشاء مستفهما عن المكان وما حل به هل بقى كما عهدناه ، ابو المطرف بن عميرة يقول :

وان كلينا مــن مشوقٍ وشائــق بنار اغتراب فتي حشاه تسعــرُ
هل النهرُ عقد للجزيرة مثلـــما عهدنا وهل حصباؤه وهي جوهرُ

وانعكاس هذه الحالة على نفسية المغترب اذ عاش الشعراء الأندلسيون ظروفاً قاسية نتيجة بعدهم عن أوطانهم، بما عمق تعلقهم بها، فعبروا بأشعارهم عن معاني الحب والشوق والحنين إلى أوطانهم، وقد يلجأ الأديب إلى الحلم والتمني للرجوع إلى وطنه أو محاولة الحصول على ذلك، وهذا سببه الحنين والشوق إلى أوطانهم التي خلفوها وراءهم، ولم يتمكنوا من العودة اليه، فاستدعوا تلك الأمكنة بوساطة خيالهم ليملأ

(1) الموضوعية والبنيوية، دراسة في شعر السياب، د.عبد الكريم حسن:72
(2) ديوانه : 548.
(3) ينظر: بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور:39
(4) ينظر: الغربة في شعر حسن بكر الفزاري، محمود درابسة، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ، مج14، ع1 اللاذقية،1992: 115

حاضرهم المؤلم الحزين وليداوي جراحاتهم بالذكرى التي تشبع رغباتهم التي بقيت دون اشباع في الحياة الواقعية.فهذا ابو المطرف بن عميرة يحن بالرجوع الى وطنه مكانه الاصلي ممزوجه بالحزن والا لم والبكاء على جزيرة شقر يقول[1] :

تذكر عهـد الشرق والشرق شاســع ... وذاب أسى للبرق والبرق لامـع
وأتبع ذكـــر الجزع أنه موجـــع ... له أبدا قلب على الجزع جازع
كفى حزنا نأى عـــن الاهل بعدمـا ... نأينا عن الاوطان فهي بلاقع
نوى غربة حتـــى بمنزل غربـــة ... لقد صنع البين الذي هو صانع
أحن الى أرض تقادم عهدهـــا ... ومن دونها أيدي الخطوب الموانع
وكيف بشقر أو بزرقة مائـه ... وفيه لشقر أو لـرزق مشـــارع

وفي حنينه يتردد بين الامل والرجاء واليأس والقنوط يحلم ويتأمل استعادة المكان/ الوطن السليب واسترجاعه من اهل الصليب، فيقول[2] :

يا لك عهـدا مضـــى ومرتبـعا ... كان به العيش مثلـه أخضـــر
وجيرة منهـــم الـــديار خلـــت ... ومنزل الصبر بعـدهم أقفـــر
جمعهم دهرهم فكـــان كمـــن ... شح ، والقـى بهم كمـــن بـذر
وعاد قلبي مـــن شرق أندلس ... عيد أســى فتـــه ومـا فتـــر
فأين منا منـــازل عصفـــت ... ريح عليها من العدى صرصر
ودون شقـــر ودون زرقتـــه ... أزرق يحكـــي قناه أو أشقـــر
والروم حـــرب لنا وهـــم وشل ... سالمـــه الواردون فاستبـــحر
انا لنرجو للدهـــر فيئة مـــن ... أناب مما جنـــتاه واستغفـــر
ونرقب الكرة التـــي أبـــدا ... بها على الروم لـــم نزل نخبر

كما ان الحلم يسهم في نقل الحالم إلى الزمان والمكان المطلوبين، ماضياً كان ام مستقبلاً، فيلغي بذلك شرطي الزمان والمكان وقوانينها، ففي الحلم تختلط الازمنة، وتلغي المسافات، ويتحقق المستحيل، وتيسير العسير، ولذلك كان الحلم اقرب إلى خيال الشاعر من أي شيء اخر، فما يعجز عنه زمان اليقظة يحققه زمان الحلم[3].

وهذا لسان الدين بن الخطيب يشكو من الم الغربة ويتمنى الرجوع الى الوطن يقول[4] :

أشكـــو الـــى الله ذهاب الشباب ... كـــم حسرة أورثنـــي واكتئاب
سد عـــن اللذات باب الصبـــا ... فزارت الاشجان مـــن كل باب
وغربـــة طالت فمـــا تنتهـــي ... موصولة اليوم بيوم الحســـاب
وشر نفس كلمـــا همجـــلت ... في الغي لم تقبـــل خطام المتاب

(1) أبو المطرف حياته واثاره : 232.
(2)أبو المطرف حياته واثاره : 232.
(3) ينظر:الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الاله الصائغ:275-276.
(4) كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار: 74.

يارب شفـــع في شيبـــي ولا تحرمني الزلفى وحسن المـــآب

يشكو الم الغربة الى الله ان شبابه قد قضى وهو بعيد عن المكان / الوطن ويطلب الشفاعه من الله ان يرحمه ويعطيه ما يتمنى في الرجوع الى الوطن قبل الممات.

فضلاً عن ان يأسهم من الرجوع أو الحصول على مكان آمن في دنياهم لجأوا إلى التمني بالحصول على مكان في الآخرة ليحقق ما يصبو ويتمنى اذ يورد ابن زيدون قائلاً [1]:

إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففـي مواقف الحشر نلقاكم ، ويكفيـــنا
كاننا لم نبت ، والوصـــل ثالثنـــا والسعد قد غض من أجفانِ واشينا
سرانِ فـــي خاطر الظنماءِ يكتمُنا حتـــى يكاد لسانُ الصبحِ يُفشينا

وهذا هو طبع الإنسان المؤمن بقضاء الله وقدره، يجعل امله في الله وتعويضه عما فقده في الدنيا ليحصل عليه في الأخرة، وذلك لان الحاضر حال دون تحقيق ما يصبوا اليه فيأمل بأن يحقق ذلك في الآخرة[2]،فيتمنى لقاء الاحبه والاهل يوم الحشر ويكفيه الالتقاء بهم بهذا المكان ، ويمكن القول إن تعلق الأندلسيين بسبب امتياز بلادهم بطبيعة خلابة اذ توصف بالجنة في الدنيا، فيتمنون بعد يأسهم من الرجوع أو الحصول عليها، تمنوا ان يحصلوا على جنة الآخرة .

وقد يكون لمكان الاخر امل في الرجوع الى المكان/ الوطن فهذا ابو حفص الهوزني يقول[3] :

إليك انتهت آمالنا فارم مـا دهـــى بعزمك، يدمغ هامةَ الباطلِ الحـق

كون هذا الاخر لديه القوة والشجاعة والامل به لاسترجاع المكان فيناديه قائلاً[4] :

فنـاد: أعبـــادُ ذا عـــائـــذٌ وقدكَ، على حينها تنصـرم
تجبك أســـودٌ علـــى ضُمـــرٍ معودةٌ ما بغت أن يتـــم
كأن المقاديـرَ حـــزبُ لـــه فيمضي على رأيه مـا حكم
فصـــابٌ لأعدائـــه مُقـــرٌ وغيثٌ لراجيه حلـــوُ الدِّيَـم

وهذا ابن زيدون يلجأ الى الاخر لطلب والشفاعه والعفو للرجوع الى مكانه قائلاً[5] :

واشفع فللشافـــع نعمـــى بمـــا سناهُ مـــتن عقدٍ وثيقِ النـــواح

وفي اخرى يقول[6] :

(1) ديوانه : 172.
(2) ينظر: قراءات في الشعر الأندلسي، د.صلاح جرار:74
(3) الذخيرة : 2/ 49.
(4) م، ن: 2/ 50.
(5) ديوانه : 337.
(6) م.ن: 369.

وحلـم امرىءٍ تعفو الذنوب بعفوهِ ... وتمحى الخطايا مثلَ مـا محي الخطُّ
فمـا لك لا تختصنـي بشفاعـةٍ ... يلوحُ علـتى دهري لِميسمها عَلـطُ؟
فإن يسعفِ المولى فنعمـى هنيئةٌ ... تنفسُ عـن نفسٍ ألظّ بها ضغـطُ

وقد لا يستطيع الرجوع إليه، لذا لجأ إلى الحلم كونه هو القدرة التي بها تستطيع صورة معينة أو أحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس في النص، فيحقق الوحدة فيما بينها بالصهر[1]، بأسلوب التوسل والعتاب ليحقق شيئاً لإشباع رغبته التي بقيت دون إشباع.

أن الحلم بالرجوع إلى المكان القديم ولا سيما (الوطن، الأهل) لم يكن سوى الشرارة التي تقدح المخيلة لتنقل عبر الأزمان إلى الزمن ألاسترجاعي، زمن الجوانب الباسمة التي مرت ولن تعود، وهم يتخذون من المناجاة وسيلة لذلك[2]، وإن الشيء الذي يصعب تحقيقه في الواقع، يمكن أن يتحقق بالحلم كونه النافذة التي من خلالها يرى كل شيء.

وبهذا نرى المكان الحلمي في رسائل المغتربين قسرياً قليلة جدا قياساً للمكان الواقعي، لكون اغلب رسائلهم سلطانية أو موجهة إلى خلفاء وأمراء وحكام فهذه تكون للواقع اقرب منها إلى الخيال، وذلك يعود إلى الظروف القاسية التي عاشها الأدباء واضطراب الأوضاع السياسية التي انعكست عليهم، فضلاً عن حسهم الوطني تجاه وطنهم، لم يجعل لهم المجال الفسيح في التفكير بالحلم كثيراً، اذ كانت الضربات تأتيهم من كل جانب فجعلهم يسلطون همهم على التخلص مما هم فيه ومحاولتهم الدفاع عن وطنهم ونفسهم، وحالهم المرير في انقلاب الزمان، وتبدل أحوالهم من العز إلى الذل والغربة الشديدة التي حلت بنفوسهم، فالأثر النفسي الذي خلفته الظروف وتغير المكان انعكس على نتاجهم الأدبي على أساس " التأثير والخوض في أعماق المشاهدات الحسية ليستجلي ما وراء الأشياء صوراً عالمه النفس، عالم المشاعر والأمنيات، عالم البحث عن الأمثل والافضل"[3].

فوجدنا في رسائلهم المقارنة بين حياة الماضي وحياة الحاضر وعلى ما فيها من تناقض، فحلمهم وامنيتهم الرجوع اليها فرسموا الماضي بأشراقه وحريته، واذا انطفأ النور والحرية، فلذا يتمنون أن يعود ذلك الماضي الحر ويزيل همهم وألم الحاضر، فضلاً عن كونهم يتمنوا الحصول في المستقبل على ما فقده في الحاضر من اجل توازن الذات.

الخاتمة

- ان الغربة والاغتراب علاقة متينة بالمكان، اذ الغربة هو النزوح عن الوطن/المكان والابتعاد، والاغتراب هو الصراع النفسي الذي يعيشه الانسان بسبب ظروف قاهرة سياسية واجتماعية او غيرها مولداً كبتاً نفسياً وبالتالي اغتراباً نفسياً، وقد يكون الاغتراب هو الشعور بفقدان الصلة الاساسية بين عالم الواقع وعالم الحلم.

- عرض الشعراء المكان الواقعي صراحة كـ(قرطبة، غرناطة، بلنسية، سبته، تلمسان) وبيان المأساة التي عاشتها الامة الاندلسية والنكبات، وانعكاس هذه الاحداث على نفسية الشاعر، ومن ثم الانعكاس على النتاج الأدبي.

(1) ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث:63
(2) ينظر: الغربة المكانية في الشعر العربي، د.عبدة بدوي، مجلة عالم الفكر، مج15، ع1، 1984: 37
(3) الليل في الشعر الجاهلي ، خليل رشيد فالح، مجلة اداب الرافدين، عدد9، 1987: 532

- الى جانب المكان الواقعي ذكر المكان الحلمي، نتيجة الظروف الصعبة التي حلت على الشعراءالاندلسيين المغتربين قد حاولوا الهروب من الواقع المر الى عالم الحلم والخيال، ليحققوا ذاتهم المعذبة، وان الحلم يُسهم في نقل الحلم الى الزمان والمكان المطلوبين، ففي الحلم تختلط الازمنة وتلغي المسافات ويتحقق المستقبل.

- اتضح لنا ان الحلم بالرجوع الى المكان القديم ولا سيما (الوطن، الدار، الاهل)، لم يكن سوى الشرارة التي مرت ولن تعود، وهم يتخذون من المناجاة وسيلة للشيء الذي يصعب تحقيقه في الواقع، يمكن ان يتحقق بالحلم كونه النافذة التي من خلالها يرى كل شيء.

- وجدنا ان نتيجة الى قلقهم واغترابهم وحرمانهم من الكثير من طموحاتهم التي يرغبون بها، لجأوا الى تمني الحصول على المكان الآمن، ورضا الآخر وعطفه، فيتمنى الحصول على النصر على الاعداء، اذ يعيش في حاضره ظلم الكفار، فيتمنى الزمن الاستباقي للحصول على النصر، كما يتمنى الحصول على مكان آمن لأهلهم بعيد عن الاعداء ليأمن على اهلهم، وكما تمنى الشعراء بالحصول على المكان السرمدي الذي لا يبلى ولا ينفى وهو الجنة في الآخرة تعويضاً عن الحياة الدنيا.

- وجدت ان المكان الحلمي في رسائل المغتربين قليل قياساً الى المكان الواقعي، كون اغلب رسائلهم سلطانية، او موجهة الى الخلفاء والامراء، كما ان الظروف القاسية التي عاشها الأدباء واضطراب الاوضاع السياسية انعكست عليهم فجعلهم يسلطون همهم على التخلص مما هم فيه ومحاولتهم الدفاع عن انفسهم وحالهم المرير.

المصادر والمراجع

- أبو المطرف، احمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، محمد بن شريفة، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، مطبعة الرسالة، الرباط، د.ط، 1966.
- الأسس الجمالية في النقد العربي، عزالدين اسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986.
- إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دارالشؤون الثقافية، افاق عربية، بغداد، ط1986،1.
- اضاءة النص، اعتدال عثمان، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
- بحوث في النص الأدبي، محمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ط، 1988.
- بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1982.
- بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كحلوش، دار الانتشار، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- التحليل النفسي والفن، د.ابي شنايدر، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، سلسلة الكتب المترجمة(132)، دار الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة بغداد، 1984.
- الحلم في التصوير المعاصر، د.مصطفى عيسى، افاق الفن التشكيلي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 14 اغسطس، 2001.
- دراسات في الواقعية الاوربية، جورج لوكاتش، ترجمة امين اسكندر، مراجعة د.عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1972.
- ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم، تقديم ومراجعة د.محمد احسان النص، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين، الكويت، ط3، 2004.
- ديوان لسان الدين بن الخطيب التلمساني، صنعه وحققه وقدم له د.محمد مفتاح، دار الثقافة ، ط1، 1409هـ، 1989م.
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني(542هـ) تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، 1978-1979.
- الرواية العربية بين الوقع والتخيل، رفيف رضا صيدواي، دارالفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- الرواية والمكان دراسة في فن الرواية، ياسين النصير، وزارة الاعلام، بغداد، 1980.
- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، حققه ووضع مقدمة وشواهده محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1981.
- الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، د.حسام الالوسي، د.ط، بيروت، 1980.
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الاله الصائغ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.
- شاعرية احلام اليقظة، غاستون باشلار، ترجمة جورج اسعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1992.
- شعرية المكان في الرواية الجديدة(الخطاب الروائي لأدورد الخراط انموذجاً)، خالد حسين حسين، كتاب الرياض 83، مؤسسة اليمامة الصحفية الرياض، د.ط، 2000.

- صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه، تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، ط1، 1999.
- العبقرية والجنون، يوسف ميخائيل اسعد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1977.
- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د.حكمة علي الاوسي، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، د.ط، 1971.
- الفن والحلم والفعل، جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986.
- في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط5، 1977.
- قراءات في الشعر الأندلسي، أ.د.صلاح جرار، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007.
- كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، للمؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب التلمساني 713-776هـ ، تحقيق د.محمد كمال شبانة مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1977
- المديح، سامي الدهان، دار المعارف، مصر، ط2، 1968.
- المصائر التاريخية للواقعية، بوريس سوتشكوف، دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1974.
- معجم البلدان، للشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي(626هـ) دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- معنى الواقعية المعاصرة جورج لوكاتش، ترجمة امين العيوطي، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.
- مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1987.
- في الفن والأدب، د.ميشال عاصي، المكتب التجاري، بيروت ،ط2، 1970.
- منهج الواقعية في الابداع الأدبي، د.صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، د.ت.
- موسوعة علم النفس، د. اسعد رزوق، مراجعة د. عبدالله عبد الدايم، بيروت، ط1، 1977.
- الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، د.عبدالكريم حسن، المؤسسة الجامعية، للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
- نظريات الشخصية، دوان شلتز، ترجمة حمد علي الكربولي، ود.عبدالرحمن القيسي، مطبعة جامعة بغداد، د.ط، 1983.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1388هـ/1968.
- يوميات الحزن العادي، محمود درويش، مركز الابحاث الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط، 1973.

الرسائل الجامعية

- الغربة والحنين في شعر ماقبل الإسلام، صاحب خليل إبراهيم، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب،1988.
- المكان في الشعر العربي قبل الإسلام، حيدر لازم مطلك، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب،1987

- المكان في شعر ابن دراج، غيداء احمد سعدون شلاش، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، 2006، إشراف، أ.د. نزهة جعفر حسن.
- المكان ودلالاتة في شعر السياب، محمد طالب غالب البجاري، رسالة ماجستير، جامعة البصرة ،1998، إشراف، د.حسن جبار محمد الشمسي.

الدوريات

- الاصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي، احمد اعراب الطرابلسي، مجلة عالم الفكر، مجلد12 ، 1981.
- إنشائية حلم اليقظة كوجيتو الحالم، جاستون باشلار، ترجمة د.ابو يعرب المرزوقي، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، عدد2، لسنة صيف 1982.
- الحكاية الجديدة، محمود خضير، جريدة الجمهورية، بغداد،1987/8/27
- الغربة المكانية في الشعر العربي، د.عبدة بدوي، مجلة عالم الفكر، مج15، ع1، 1984
- الغربة في شعر حسن بكر الفزاري، محمود درابسة، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ، مج14، ع1 اللاذقية،1992
- الليل في الشعر الجاهلي ، خليل رشيد فالح، مجلة اداب الرافدين، عدد9، 1987